من أجلها!

شعرية الانتماء في شعر الدكتور أحمد عمر هاشم: مقاربة تحليلية

For her!

The Poetics of Belonging in the Poetry of Dr. Ahmed Omar Hashem: An Analytical Approach

خالد فهمي *

khalidfahmy30@gmail.com

الملخّص:

يتناول هذا البحث بالتحليل (شعرية الانتماء الديني والوطني في قصيدتين للدكتور أحمد عمر هاشم) هي قصيدة:(إلى فلسطين 1390=1970م) وقصيدة (نداء من الميدان)1393=1973م

وقد سعت الدراسة إلى فحص خطاب الأفكار التي سعت القصيدتان إلى خدمتهما، وإلى فحص خطاب التشكيل الفني، ومدى تناغمه وتعانقه مع خطاب الأفكار.

وتوصلت الدراسة إلى ظهور قضية الانتماء الإيماني وتجلياته الوطنية النضالية التي قدمت تحقيق حرية الوطن، وصناعة مجده، وجاءت محددات التشكيل الفني الموزعة على المعجم الشعري والأساليب والتناص لتبرهن على الصدق الفني في النصين.

الكلمات المفتاحية: الشعر العربي المعاصر؛ د. أحمد عمر هاشم؛ قصيدة إلى فلسطين؛ قصيدة نداء من الميدان؛ الشعرية العربية.

---

* أستاذ بكلية الآداب – جامعة المنوفية.

Abstract:

This research analyzes the poetics of religious and national belonging in two poems by Dr. Ahmed Omar Hashem: "To Palestine" (1390 = 1970 AD) and "A Call from the Field" (1393 = 1973 AD).

The study strives to examine the discourse of ideas that the two poems seeks to represent, and to examine the discourse of artistic formation, and the extent of its harmony and embrace with the discourse of ideas.

The study proves the emergence of the issue of faith-based belonging and its manifestations in the national struggle to achieve freedom of the homeland, and the making of its glory, as well as the determinants of artistic formation distributed over the poetic lexicon, styles and intertextuality that come together to prove the artistic honesty in the two texts.

Keywords: **Contemporary Arabic Poetry, Dr. Ahmed Omar Hashem, "To Palestine", "A Call from the Field", Arabic Poetry.**

0/ مدخل: الحادثات الملهمة!

في حركة التاريخ ثمة حادثات ملهمة؛ بسبب تأثيرها الجوهري إن إيجابيا وإن سلبيا.

وهو ما يعني أن انتصار رمضان 1393هـ=أكتوبر 1973م يمثل حدثا ملهما؛ لأسباب كثيرة نفسية وسياسية وحضارية، وكذلك يمكن النظر إلى احتلال القدس وفلسطين بوصفه حدثا جوهريا، له تأثيراته الجبارة حتى الآن.

والشعر العربي علي امتداد تاريخه مصدر ثري من مصادر الكتابة التاريخية، للدرجة التي نظر إليه في المدونة النقدية العربية التراثية بأنه "ديوان العرب"، وخزينة مآثرهم.

وقد أنتج هذان الحادثان الكبيران حركة أدبية، شعرية وقصصية لها سماتها الخاصة موضوعيا وفنيا.

2/0

الدكتور أحمد عمر هاشم (و1941م) =(1360هـ) رمز دعوي وعلمي وثقافي مرموق، وأحد أهم المختصين في الحديث النبوي الشريف وعلومه

وهو مع ذلك شاعر، درس النقاد شعره في أعمال علمية، من مثل:(الدكتور أحمد عمر هاشم شاعرا، للدكتور ماهر فؤاد الجبالي، دار أطلس للنشر، القاهرة 2017م) وقد كان في أصله رسالة حصل بها صاحبها على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد من جامعة الأزهر الشريف.

وله (ديوان من أنوار النبوة، مؤسسة المهند للأعمال، جمعه د. نادي عبد الله محمد، القاهرة، 2020م).

3/0 مادة المقالة

تنهض هذه المقالة على تحليل قصيدتين هما:

أ- نداء من الميدان [مجلة الأزهر الشريف، ع شهر شوال 1973م = 1393هـ) في أثناء حرب رمضان / أكتوبر المجيد.

ب- إلى فلسطين [مجلة الأزهر ع شهر شوال 1970م=1390هـ).

1/ شعرية الانتماء في قصيدتي د. أحمد عمر هاشم: خطاب الأفكار

يكشف تحليل هاتين القصيدتين مادة الدراسة عن حضور لحزمة من الأفكار التي يمكن بيانها في مخطط مكون من: فكرة محورية، وأفكار منضوية تدور في فلك هذه الفكرة المحورية.

1/1 الفكرة المحورية: الانتماء متنوع الدوائر

تبدو الفكرة الأساسية المحورية التي تدور حولها أفكار النصين – هي فكرة الانتماء متنوع الدوائر، بمعنى أن الشاعر يهدف إلى بيان أن الانتماء هو المدخل الرئيسي للانتصار للإسلام وأوطانه المترامية.

ويمكن تلخيص دوائر هذا الانتماء فيما يلي:

أولا- الانتماء للإسلام؛ بوصفه الدائرة الكبرى التي تحتضن بداخلها بقية دوائر الانتماء أو أنواعه المنبثقة من الدائرة الكبرى

ثانيا- الانتماء للأمة أو الوطن العربي الإسلامي ولاسيما مقدساته وحرماته، وقلب هذا الوطن هو الشرق

ثالثا- الانتماء الوطني إلى مصر بوصفها الوطن

وهذه الدوائر ماثلة في النصين، يقول في (نداء من الميدان):

من أجل عزة ***أمتي*** سأمزق الليل البليد

يقول في (إلى فلسطين):

لاح في ***الشرق*** فجرها وسناها / وهداها وشمسها وضحاها

وينتقل الشاعر من هذه الدائرة المتسعة التي تضم الأمة كلها على قاعدة الإيمان الجامع بين شعوبها وبلدانها إلى الأماكن المحرمة أو المقدسة، وفي القلب منها فلسطين أو القدس؛ مسرى النبي صلى الله عليه وسلم، يقول في (فلسطين):

يا ***فلسطين*** أنت قرة عيني / ولياليك قد تبدي سناها

ثم ينتقل الشاعر إلى دائرة الانتماء إلى الوطن / مصر، لا بوصفها مجرد بلد الميلاد والمنشأ ولكن بوصفها قلب هذا الوطن الكبير، ودرة تاجه، وصمام وحدته وتماسكه وقوته

وفي هذا يقول في (إلى فلسطين):

يا بلادي لا فتنة السوء تقضي / فتنة السوء خاب من دساها

ويقول بصورة أكثر وضوحا، وأعلى كثافة في (نداء من الميدان):

أنا قد نذرت الروح للرحمن(م) ***للوطن المجيد***

ويقول كذلك:

أقسمت لن ***أدع الحدود*** (م) ولن أرى تلك الورود

حتى أطهر ***أرضي الخضراء*** (م) من دنس اليهود

ويقول:

أنا ها هنا أحمي ***البلاد*** / ممن تمادوا في العناد.

2/1 الأفكار المنضوية تحت الفكرة المحورية

ويعزز تحليل الخطاب الشعري في هذين النصين الكشف عن حزمة من الأفكار الداعمة للفكرة المحورية فيهما، وهى فكرة الانتماء المتنوع الدوائر، وتتركز هذه الأفكار الداعمة فيما يلي:

أولا- فكرة خدمة تحرير الأمة والوطن

إن هذه الفكرة تبدو منطقية في سياق الخطاب الشعري الذي يروم مجد الأمة كلها، ومجد الوطن المصري بالتعيين، يقول الشاعر:

مزقي هذه الغيوم وسيري / أمة تقشع الدجى عن سماها

ويقول:

من أجل عزة أمتي/ سأمزق الليل البليد

ويقول:

أنا ها هنا أحمي البلاد / ممن تمادوا في العناد

أبني هنا مستقبل الجنات (م) مرفوع العماد

ثانيا- فكرة النضال وامتداح البذل والشهادة في سبيل الله

إن هذه الفكرة تتصل اتصالا وثيقا بما قبلها؛ إذ لا طريق يحقق تحرير الأمة والوطن إلا طريق النضال بكل أنواعه وفي القلب منها طريق البذل والتضحية والاستشهاد في سبيل الله

يقول الشاعر

وأنا قد ***نذرت الروح*** للرحمن(م) للوطن المجيد

إن عشت على ***النضال*** (م) وإن أمت فأنا ***شهيد***

من أجل عزة أمتي ***سأمزق*** الليل البليد

أنا ها هنا ***متربص*** أقضي الليالي في ***سهاد***

إن تحليل أفكار النصين / مشغلة هذه الدراسة يكشف عن حضور واع لمركزية ***فكرة الإيمان*** ومطالبها العملية المتمثلة في الانتماء الحقيقي لهذا الدين العظيم، ولما يفرضه على المؤمنين به من ضرورة محبة الأوطان محبة عملية تقود إلى البذل والتضحية طلبا لحريته وعزته ومجده.

2/ شعرية الانتماء في شعر الدكتور أحمد عمر هاشم: خطاب التشكيل الفني

0/2

الشعر بالأساس هو اللغة، ذلك أن " الشعر يتكون من اللغة ... إلا أنها لغة غير اللغة العادية " على حد تعبير سيمويل ليفن في كتابه [البنيات اللسانية في الشعر، سيمويل ليفن، ترجمة الولي محمد التوازني خالد، منشورات الحوار الأكاديمي، الرباط ط1 سنة 2015م (ص 15)]

والشعرية هى الدراسة اللغوية للشعر على تعبير كاتي وايلز في [معجم الأسلوبيات لكاتي وايلز، ترجمة خالد الأشهب، مراجعة قاسم البريسم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2014م (ص 522)]

ومن ثم فإن تحليل خطاب التشكيل الفني يبدأ ويدور حول لغة القصيدة.

1/2- المعجم الشعري في قصيدتي أحمد عمر هاشم

يدور مفهوم المعجم الشعري حول "تلك المفردات النشطة التي يشكل منها الشاعر قصائده" على حد تعبير [المعجم الشعري: بحث في الحقول الدلالية للكلمة في الخطاب الشعري، د. إبراهيم جابر علي، أمواج للنشر، الأردن، عمان، ط1 سنة 2015م (ص9)]

وربما أمكن تعريفه إجرائيا بأنه اللغة الخاصة التي يخلفها شاعر في شعره، [انظر: قضية المعجم الشعري في النقد الحديث، د. محمود الربيعي، مجلة المجلة، مج 31 ج 120 يناير 1966م(ص50)]

وفحص المعجم الشعري في هاتين القصيدتين يكشف عن ظهور الحقول الدلالية التالية:

أ-حقل مفردات الأمة والوطن، من مثل (بلادي/ الشرق / الوطن /المجيد/ أمتي / الحدود /البلاد/ فلسطين)

ب-حقل النضال والكفاح والتضحية من مثل (النضال / أحمي / متربص / الزناد/ ابني/ شهيد/ سلبوا الدما/ الجهاد / المناضل)

ج-حقل التنديد بالعدو من مثل: (الخصم العنيد / دنس اليهود/ العناد/ المعتدون / فتنة السوء/ العدو)

وتكشف هذه الحقول الثلاثة عن تجليات معجمية تتعانق مع الفكرة المحورية والأفكار الدوارة في فلكها؛ إذ جاءت "المفردات النشطة" أو جاء المعجم الشعري محققا ما يلي:

أولا- صدق الانفعال بقضية القصيدتين، وهى قضية الارتباط والانتماء للوطن والأمة على قاعدة الإيمان الإسلامي.

ثانيا- تحقق التناسب الفني بين الأفكار والمفردات والمعجم الشعري الذي يتحرك خادما الحمولات الدلالية المعبرة عن هذه الأفكار

ثالثا- تحقق "عقلانية" الفكرة، ومنطقيتها، بحيث تجاوز المعجم الشعري حدود بناء القصيدة إلى حدود أوسع تتعلق بالإقناع أو الاشتغال الحجاجي طلبا للتأثير في المتلقي.

2/2- الأساليب الشعرية

إن تأمل الأساليب أو التركيب في القصيدتين يقود إلى الكشف عن مجموعة من الملامح البارزة.

وسوف نكتفي بأبراز هذه الأساليب تأسيسا على المنظور الكمي، خضوعا لطبيعة المقالة هنا.

وقد كشف التحليل الكمي عن بروز "أسلوب التكرار" بصورة مثيرة للدهشة، وقد تجلى هذا التكرار في الظواهر التالية:

أولا- تكرار التركيب الاسمي الخبري المكون من:

(أ)مبتدأ (ضمير المتكلم أنا) + خبرا أو أخبار متعددة

في مثل:

1- أنا+ ها هنا + عزمي حديد

2- أنا+ ها هنا + متربص

3- أنا+ ها هنا+ أحمي البلاد

4- أنا+ قد نذرت الروح للرحمن

(ب) تركيب شبه الجملة(من أجل + مضاف إليه) + جملة فعلية

في مثل:

1- من أجل+ عزة أمتي + سأمزق الليل البليد

2- من أجل + ها

3- من أجل+ من طردوا

4- من أجل + لاجئها

5- من أجل+ الشريد

6- من أجل+ من تركوا الديار

7- من أجل + من سكبوا الدماء

ثانيا- تكرار التركيب الفعلي بأنماط وصور متنوعة المكون من:

أ-فعل ماض + فاعل، في مثل:

1-***لاح***+ في الشرق ***فجرها*** (مرتين في قصيدة إلى فلسطين)

ب-فعل مضارع + فاعل + م. به ؛ في مثل:

1- أحمي + (أنا)+ البلاد

2- أحمي +(أنا) + الذمار

3- أقضي+ (أنا) +الليالي

4- أحس+(أنا)+ وقع الخطو

5- أبني (أنا)+ مستقبل الجنات

والحقيقة أن التحليل الدلالي لهذين النمطين العلويين من الأساليب المتكررة يكشف عما يلي:

أولا- حضور الشعور بالمسئولية الفردية، ذلك أن تأسيس الإيمان ونتائجه هو مسألة فردية ذاتية لا يصح فيها الإنابة أو التفويض، وهو تفسير تكرار الضمير (أنا) الواقع مبتدأ أو موضوعا في عدد كبير من تراكيب قصيدة (نداء من الميدان)

ثانيا- حضور الصدق الفني والأخلاقي في الانفعال بالقضية المحورية في القصيدتين، وهما الإيمان بواجب الأوطان والإيمان بضرورة التضحية من أجلها وهو ما يفسر تكرار التركيب (من أجل...) الذي تنوعت صوره

ثالثا- حضور الوعي بتجليات الثقة والإيمان بمكانة الأمة وأوطانها التي تستند إلى رصيد من المجد والقوة والفاعلية التاريخية وهو ما يفسره تكرار استعمال التراكيب الفعلية التي فعلها ماض.

رابعا- حضور الوعي بما يلزم استمراره وعدم توقفه من العطاء والبذل والتضحية لتحصيل مجد الوطن وترقي الأمة وهو ما يفسر تكرار التراكيب الفعلية التي فعلها مضارع ومتعد في الوقت نفسه

وقد حقق التكرار بجانب ما سبق بيانه وظيفتين ظاهرتين هما:

أولا- ظهور التلذذ بمادة الاعتراف بالمسئولية الفردية والتلذذ بالبذل

ثانيا- الإسهام في الإقناع بقضية النصين وأفكارهما، إذ التكرار ينهض بوظائف حجاجية واضحة.

والحقيقة أن التكرار في هذا النمط من القصيد الذي يغلب عليه الحماس، عوض إلى حد كبير تراجع نسبة التصوير الفني في النصين.

وتراجع نسبة التصوير الفني أمر شائع في القصائد النضالية، أو في هذا النمط من القصيد الوجداني، وتتعانق وجدانية المعجم ورومانسيته من جانب، والتكرار من جانب آخر على تحقيق التعويض أو النقص في هذا الباب.

3/2- توظيف التناص

يمثل "التكافل بين النصوص" أو التناص آلية متنوعة الوظائف، فهى آلية تسهم في بناء النص وتكوينه، وتعزز الإيمان بصدق الشاعر وانفعاله بقضيته وتدعم الخطاب الحجاجي سعيا للتأثير في المتلقي.

وقد تكافل أحمد عمر هاشم، الشاعر بدرجة أساسية مع الذكر الحكيم، وهو أمر عزز مكانته، وكشف عن تكويته الديني، وعزز الصدق الذي تتخرك به بنية القصيدتين فكريا، أو موضوعيا، فضلا عن تعزيز نمط هذه الفكرة الانتمائية وربطها بمصدرها الإيماني والديني.

ومن الأمثلة الدالة على حضور التكافل مع الكتاب العزيز ما يلي:

1- يقول الشاعر:

-لاح في الشرق فجرها وسناها/ وهداها وشمسها وضحاها وهو التركيب الذي يستدعي قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾[سورة الشمس 1/91]

والحقيقة أن التناص مع هذه الآية الكريمة متعدد الوظائف قصد إلى بيان الحق في المسألة، وسطوع حق أهل فلسطين فيها، بصورة لا يمكن الشغب عليها من أي عدو غاصب محتل

كما أن التناص مع الآية الكريمة وهى آية مكية ليبرهن على قدم هذا الحق وعراقته

2- يقول الشاعر

- ونداء رب العالمين /يقولها"بشر عباد"

وهو التركيب الذي يستدعي قوله تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد﴾ [سورة الزمر 17/39]

والحقيقة أن التناص مع هذه القطعة من الآية الكريمة وهى آية مدنية تبرهن على تحققها عند القيام بواجب الجهاد الذي شرع في المدينة المنورة وتبرهن على أن القيام بواجبات الانتماء الوطني.

والدفاع عن الأمة والوطن يحقق لمن ينهض بها السعادة والبشرى التي وعد الله بها عباده المؤمنين المجاهدين.

وهذه السمة الفنية تكشف عن ملمح من ملامح عصرية القصيدة في إبداع الدكتور أحمد عمر هاشم.

خاتمة

لقد توقفت هذه المقالة أمام الخطاب الشعري الذي دار حول مسألة الانتماء والديني وتجلياته الوطنية في نصين من شعر الدكتور أحمد عمر هاشم

وحللت المقالة هذا الخطاب من منظوري خطاب الأفكار وخطاب التشكيل الفني.

وتوصلت المقالة إلى النتائج التالية:

أولا– ظهور محورية فكرة الانتماء الإيماني والوطني، ودوران الأفكار " المنضوية" أو الفرعية حول الفكرة المركزية.

ثانيا– ظهور تعانق توظيف المعجم الشعري والأساليب والتناص بما يخدم القضية المحورية.

ثالثا– ظهور تراجع التصوير الفني؛ نظرا لطبيعة الأفكار "النضالية" والحماسية.

رابعا– ظهور علامات الانتماء للمذهب الوجداني أو الرومانسية في نسختها العربية أو ما أسميه "الشعرية المنتمية"، وهو ما برهنت عليه:

أ–الفكرة المحورية

ب–المعجم الشعري

ج–توظيف التناص مع القرآن الكريم

إن شاعرية د. أحمد عمر هاشم بوصفه رمزا أزهريا وطنيا تبدو ظاهرة وواضحة، وهو ما يشجع على ضرورة استكمال فحص منجز الشعرية الثمينة للشعراء الأزهريين على وجه خاص.

المصادر والمراجع

1- إلى فلسطين (قصيدة)، د. أحمد عمر هاشم، مجلة الأزهر، ع شهر شوال سنة 1390هـ (= 1970م)

2- نداء من الميدان(قصيدة) د. أحمد عمر هاشم، مجلة الأزهر، ع شهر شوال، 1393هـ (= 1973م)

ثانيا- المراجع

1- البنيات اللسانية في الشعر، سيمويل ليفن، ترجمة الولي محمد التوازني خالد، منشورات الحوار الأكاديمي، الرباط ط1 سنة 2015م

2- قضية المعجم الشعري في النقد الحديث، د. محمود الربيعي، مجلة المجلة، مج 31 ج 120 يناير 1966م

3- معجم الأسلوبيات لكاثي وايلز، ترجمة خالد الأشهب، مراجعة قاسم البريسم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2014م

4- المعجم الشعري: بحث في الحقول الدلالية للكلمة في الخطاب الشعري، د. إبراهيم جابر علي، أمواج للنشر، الأردن، عمان، ط1 سنة 2015م